

## القلب المكاني بين القدماء والمحدثين دراسة وتحليل

د. تمام حمد المنيزل\*

### المُقَدِّمة

القلب المكاني ظاهرة رصدتها اللغويون في موروثهم اللغوي وأوردوا لها نماذج وأمثلة. ويقوم على مبدأ التَّغْيِير في ترتيب حروف الكلمة، بتقديم بعض الحروف على بعضها الآخر. واختلف في وجودها علماء العربيَّة مع أنَّها شائعة ومعروفة وواضحة، وتكثر في لهجتنا المحكيَّة، فنقول: (امْضَحَل) والأصل (اضْمَحَل)، و(مَرْسَح) والأصل (مَسْرَح)، و(ما أَيْطَبه) والأصل (أَيْطَبه).

ويؤثِّر القلب المكاني في الميزان الصَّرْفِي، فوزن (أشياء) هو (لفعاء)، وليس (أفعال)؛ لأنَّ أصل أشياء هو (شيئاء).

تنوَّعت آراء علماء العربيَّة في ظاهرة القلب المكاني، فمنهم مَنْ حصرها في بعض الأبنية اللُّغوية: كالْبَصْرِيين، ومنهم مَنْ وسَّع دائرتها ونطاقها: كالْكَوْفِيين، ومنهم مَنْ أنكر وجودها: كابن درستويه (ت347هـ).

حاول القدماء تفسير ظاهرة القلب المكاني، فتشعَّبت آراؤهم، ثم تبعهم المحدثون في تفسيرها، فتفرَّقت آراؤهم في التَّعْلِيل، والتفسِّيْر.

تتناول الدِّراسة ظاهرة القلب المكاني: بين القدماء والمحدثين، بتتبع آراء العلماء، والتَّعْرَف على الظاهرة، وسبب اختلاف علماء العربيَّة حولها وتفسيراتهم لحدوثها، مع الموازنة بين الآراء المتنوعة وصولاً إلى تفسير مُقْنَع لها.

تمهيد:

### القلب المكاني لغة:

تقديم بعض الحروف على بعض<sup>(1)</sup>.

### القلب المكاني اصطلاحاً:

\*أستاذ مُساعد / جامعة الجوف - كَلِيَّة العلوم والآداب بالقريات / قسم اللُّغة العربيَّة

(1) الاسترأبادي، الرضي: شرح الشافية: 21/1.

يتكون مُصطلح (القلب المكاني): من كلمتين: الأولى: كلمة (القلب) وتعني التحويل والتغيير والتبديل. والثانية: كلمة (المكاني) أي بتبادل مواقع الحروف. القلب المكاني: هو "التغيير أو التحويل اللغوي الذي يقع في كلمة من كلمات اللُّغة في صورة تبادل أو تناوب في المكان أو الموضع أو الموقع بين أصوات (فونيمات) حروف كلمة من الكلمات بالتقديم والتأخير، فينشأ عن ذلك التغير في تتابع ترتيب الفونيمات (حروف الكلمة) كلمة أخرى فرعية جديدة متفقة في الدلالة والمعنى، ومختلفة في ترتيب المبنى مع الكلمة الأولى الأصلية"<sup>(1)</sup>.

استقرَّ مفهوم القلب المكاني واستخدامه عند أهل التصريف بأنَّه: عملية يتم فيها تبادل صوتين لمواقعهما ضمن الكلمة الواحدة. القلب المكاني: عملية تقوم على معناها بعد ذلك التبادل؛ إذ إن كلمة (معلقة) حدث بها في لغتنا المعاصرة قلب مكاني فأصبحت (معلقة) محتفظة بنفس المعنى، ومن الواضح أن معلقة هي الأصل ، فالفعل الذي اشتقت منه ليس (علق) بل (لعلق)<sup>(2)</sup>. رأي علماء اللُّغة في ظاهرة القلب المكاني: آراء القدماء

اختلف القدماء في ظاهرة القلب المكاني ، فنجد مَنْ: أنكر وجودها كابن درستويه، الذي تفرَّد بإنكار وجودها، وألَّف كتاباً سمَّاه (إبطال القلب المكاني)<sup>(3)</sup>، ومنهم مَنْ جعلها سُنَّة مُطرَّدة وظاهرة شائعة في العربيَّة كابن فارس (ت395هـ)، يقول: "من سُنن العرب القلب"<sup>(4)</sup>. والباحثُ في كتب التُّراث يجد أمثلة كثيرة على ظاهرة القلب المكاني ، فقد تنبَّه القدماء لهذه الظاهرة ، وقد أقرَّ البصريون والكوفيون بوجودها في بعض الكلمات العربيَّة ، إلا أنهم اختلفوا في الصِّيغ التي وقعت فيها هذه الظاهرة ، فقد حصر البصريون وجود القلب المكاني في (اسم الفاعل) من الفعل المعتل الأجوف، وجاء في المزهري: "القلب الصَّحيح عند

(1) هريدي، أحمد المجيد: القلب المكاني (دراسة تاريخية في المفهوم والمصطلح)، ص11.

(2) انظر: عبده، داود: دراسات في علم الأصوات، ص91.

(3) السيوطي، جلال الدين: المزهري في علوم اللُّغة، 371/1.

(4) ابن فارس، أحمد: الصحاحي في فقه اللغة، ص51.

البصريين مثل: (شاكبي) السَّلاح ، و(شائك) ، و(جُرْف هار) و(هائر) ، وأما ما يسميه الكوفيون (القلب) ، نحو: جبد وجذب ، فليس هذا بقلب عند البصريين وإنما هما لغتان<sup>(1)</sup>.

أما الكوفيون فقد توسَّعوا في مدلوله وعدُّوا مثل هذا الذي أنكره البصريون قلباً مثل ما حصل في: (جذب) و (جبد) وقد جمع بعض العلماء ألفاظاً عديدة من الكلمات التي حصل فيها قلب مكاني ، وأودعوها مؤلفاتهم ، فقد جمع ابن قتيبة (ت286هـ) منها قدراً في كتابه (أدب الكاتب)<sup>(2)</sup>.

وخصَّص السيوطي (ت911هـ) في المُنْهَر حيزاً لهذا النَّوع من الألفاظ<sup>(3)</sup> ، وذكر السيوطي في المُنْهَر أَنَّ من النَّحْوِيِّين مَنْ عدَّ ظاهرة القلب المكاني: "لغات" ، ومنهم مَنْ تَقَبَّل هذه الظَّاهرة بوصفها عمليَّة تبادل للحروف في الكلمة الواحدة ، بحيث تُؤدِّي الكلمة التي حصل فيها القلب نفس المعنى لها قبل القلب.

ويُمثِّل على ذلك السيوطي بوفرة من الأمثلة التي ساقها من الجمهرة لابن دريد (ت321هـ) ، يقول: "وزعم قومٌ من النَّحْوِيِّين أَنَّها لغات ، وهذا القول خلاف على أهل اللُّغة ، يُقال: جبد وجذب ، وما أَطْيَبُه وأَيْطَبُه ، ورَبَضَ وربض ، وأبيض وروضَبَ وأنضب ، وصاعِقَة وصاعِقَة ، ولَعَمْرِي ورَعْمَلِي ، واضْمَحَلَّ وامضَحَلَّ ، وعميق ومَعِيق .."<sup>(4)</sup>.

إن القلب المكاني يعملُّ على إغناء لغتنا العربيَّة بألفاظ جديدة؛ إذ إنَّه يقوم على تبادل بين حرفين ، مما يؤدي إلى وجود صيغتين بنفس المعنى ، ويقوم على التبادل بين حرفين ، ولكن لا بد أن تكون إحدى الكلمتين أصلاً والأخرى فرعاً عليها ، ويجب أن يُقصر الفرع عن الأصل في التَّصْرِيْف<sup>(5)</sup>؛ إذ ينقل لنا السيوطي قول السَّخَاوِي (ت436هـ) في شرح المُفْصَل ، فيقول: "إذا قلبوا لم يجعلوا للفرع مصدراً ، لئلا يلتبس بالأصل ، بل يقتصر على مصدر الأصل ، ليكون شاهداً للأصالة نحو: يئس يأسا ، وآيس مقلوب منه ولا مصدر له ، فإذا وُجِد المصدر، حكم النَّحاة بأنَّ كل واحد من الفعلين أصل ، وليس بمقلوب من الآخر، نحو: جبد وجذب ، وأهل اللُّغة يقولون: إن ذلك كله مقلوب"<sup>(6)</sup>.

(1) انظر: السيوطي، جلال الدين: المُنْهَر في علوم اللُّغة، 371/1.

(2) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: أدب الكاتب، ص381.

(3) السيوطي، جلال الدين: المُنْهَر في علوم اللُّغة، 370-367/1.

(4) السابق نفسه، 367/1.

(5) بكوش، الطيب: التَّصْرِيْف العربي، ص73.

(6) السيوطي، جلال الدين: المُنْهَر في علوم اللُّغة، 367/1.

### القلب المكاني في الجملة

مواقف القدماء من القلب المكاني في الجملة:

تحدث ابن هشام عن هذه المسألة في القاعدة العاشرة في "معني البيب يقول: " من فنون كلامهم القلب . وأكثر وقوعه في الشعر"<sup>1</sup> ولقد أفرد لها ابن عصفور مكاناً في كتابه " فرائد الشعر" أسماه (إبدال الحكم من الحكم)<sup>2</sup> قلب الإعراب ، تأنيث المذكر ، تذكير المؤنث ، العطف على التوهم ، معاملة غير المبتدأ معاملة المبتدأ... 15

### القلب المكاني في الجملة في الشعر العربي

عدّ النحويون الشواهد الشعرية المحمولة على هذه المسألة من باب الضرورة لا يعد قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

كأن سبيئة من بيت رأس \*\* يكون مزاجها غسل وماء<sup>3</sup>

فيمن نصب المزاج ، فجعل المعرفة الخبر والنكرة الاسم ، وتأوله الفارسي على أن انتصاب المزاج على الظرفية المجازية ، والأولى رفع المزاج ونصب الغسل 17 ومما يمكن عده من باب القلب في الجملة حملاً مثل قول رؤبة:<sup>4</sup> ومهمه مغبرة أرجاؤه \*\* كأن لون أرضه سماؤه<sup>5</sup>

أي كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه، فقلب التشبه مبالغة ، وحذف المضاف 16 وقف ابن هشام عند ما سمّاه من فنون كلامهم القلب وذكر أن أكثر ما يكون ذلك في الشعر. وكثرته في الشعر موردًا من موارد الضرورة. ولما وصف ذلك بأنه من فنون كلامهم ، كان في هذا دلالة تداولية واضحة على أنّ للضرورة مدخلاً من مداخل فنون الكلام وبلاغته ، وأنهم في بعض ما يضطرون إليه في الشعر لا يقعون في مواقع الضعف ولا يهبط كلامهم مع هذه الضرورة. وهذا مدخل حسن من مداخل فهم الضرورة.

(1) مغني البيب عن كتب الأعراب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن هشام، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، 1987، 695/2

(2) انظر: حموز عبد الفتاح: ظاهرة القلب المكاني، ص 163

(3) الشاهد في ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: وليد عرفات، بيروت، دار صادر، 2006، مج 1، ص 17

(4) مغني اللبيب عن كتب الأعراب، 695\2

(5) البيب لرؤبة في ديوانه في مجموع أشعار العرب، اعني بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد، الكويت، دار ابن قتيبة ص 3، ورواية الديوان: وبلد عامية أعمأؤه كأن لون أرضه سماؤه

ويؤكد ذلك قول ابن جني (ت392هـ): "اعلم أنّ كلّ لفظين وجد فيهما تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا جميعاً أصليين ليس أحدهما مقلوب عن صاحبه ، وذلك أنهما جميعاً يتصريفان تصرُّفاً واحداً نحو: جَدَبَ يَجْدِبُ جَدْباً فهو (جاذب) والمفعول (مَجْدُوب) ، وجبذ يجبذ جبذا فهو (جاذب) والمفعول (مجبوذ) ، فإن جعلت مع هذا أحدهما أصلاً لصاحبه فسَد ذلك ... فإن قَصُر أحدهما عن صاحبه ولم يساوه فيه كان أوسعهما تصرفاً أصلاً لصاحبه"<sup>(1)</sup>.

#### آراء المُحدثين:

أخذ المُحدثون ظاهرة القلب المكاني عن القدماء وأدرجوها في دراساتهم ، فقد تناول (بروكلمان) ظاهرة القلب المكاني ودرسها ضمن أنواع المُخالفة؛ لأنَّ ظاهرة القلب المكاني تمَّت بصلة قرابة شديدة للمُخالفة؛ إذ إن القلب المكاني يحدث فيه تغيير أصله التَّخالف، وهو: التَّقْدِيم والتَّأخير ، أي أنّ حرفاً من حروف الكلمة يُقَدَّم وآخر يُؤخَّر مكانه ، ويرى بروكلمان أن ذلك القلب حدث لَصُعوبة التتابع الأصلي لتلك الحروف على الدَّوق اللُّغوي ، أي أن القلب المكاني يقوم على مبدأ الاقتصاد في الجهد ، إذ تُقَدَّم بعض أصوات الكلمة عن بعض من باب السُّهولة في النُّطق تحت قانون الاقتصاد في الجهد<sup>(2)</sup>.

وقد أولى بعض المُحدثين هذه الظَّاهرة عناية فائقة، مثل: عبد الفتاح حموز، الذي ألف كتاباً مستقلاً في هذا الموضوع<sup>(3)</sup> ، ونجد من المُحدثين -ك الطيب البكوش - من درس ظاهرة القلب المكاني مُطلقاً عليها تسمية جديدة بعنوان (التبادل)<sup>(4)</sup>؛ إذ تتمثل هذه الظاهرة في تبادل صوتين مكانهما في الكلمة، فيحدث بذلك تأخير الأول وتقديم الثاني ، مما يؤدي إلى وجود صيغتين بنفس المعنى.

ذهب بعض المُحدثين إلى أن ظاهرة القلب المكاني ترجع إلى الخطأ والتَّوهيم السَّمعي، يقول: "برجشتراسر" ونجد تغييراً آخر أصله قريب من أصل التَّخالف ، وهو: التقديم والتَّأخير ، أي أن حرفاً من حروف الكلمة يُقَدَّم وآخر يُؤخَّر مكانه ، وعلته أنّ ترتيب الحركات في التَّصورات أسهل من تغييرها المُوجب للتَّخالف ، ونحن نشاهد ذلك بالآلة الكاتبة فإذا لم

(1) ابن جني، أبو الفتح: الخصائص، 69/2.

(2) انظر: بروكلمان: فقه اللغات السامية، ص80.

وانظر: برجشتراسر: التطور النحوي، ص35.

(3) حموز، عبد الفتاح: القلب المكاني، ص33.

(4) بكوش، الطيب: التصريف العربي، ص73.

نتيقظ كتبنا كلّ الحروف اللّازمة لكن على ترتيب غير ترتيبها"<sup>(1)</sup> ، أي يحصل عن طريق الخطأ في الطّباعة أو أنّه قد سمع كلمة فتوهم إنّ فيها حرفاً قد تقدم على حرف سابق له ، فأخطأ فكتبها أو نطقها بقلب جديد - وذلك نظراً لتصورات قبلية كانت محفورة في ذهن ذلك الإنسان الذي أحدث القلب في تلك الكلمة ، أو قد يكون لتقارب الحرفين في الصّفات أو المخرج؛ إذ يحدث تبادل موقعي الحرفين باب الاقتصاد في الجهد.

وتحدّث رمضان عبد التّواب في كتابه التّطور اللّغوي عن تعليل ظاهرة القلب المكاني بنظرية السّهولة والتيسير، يقول مُعلّلاً: "والقلب المكاني - وهو عبارة عن تقديم بعض أصوات الكلمة لصعوبة تتابعها الأصلي على الدّوق اللّغوي - وهو ظاهرة يمكن تعليلها بنظرية السّهولة والتيسير كذلك"<sup>(2)</sup>.

ولغتنا العربيّة تميل إلى الخفّة والسّهولة في النّطق، وتبتعد عن الصّعوبة والثقل ، فما كان خفيفاً على اللّسان نطقت العربيّة به وما كان ثقيلاً تركته العربيّة وابتعدت عنه ، أو أوجدت مسرباً للتّخلص من ذلك الثقل ليتحقق الانسجام والائتلاف بين أحرف اللفظ الواحد ، وتمشياً مع ذلك فسّرت ظاهرة القلب المكاني على أساس السّهولة والتيسير.

وأيد عبد الفتاح الحموز فكرة القلب المكاني القائمة على نظريّة السّهولة والتيسير في النّطق ، إذ يقول: (ولعل ما يمكن حمله على توحّي السّهولة في نطق بعض الأصوات ما نلاحظه من قلب مكاني في بعض الألفاظ العربيّة في لغة الأطفال كقولهم: (فَعَل) في (عَقَل) و(واجعاز) في (إعجاز)، فقدّموا القاف (الحرف اللّهوي) على العين (الحرف الحلقي) في الكلمة الأولى؛ لأنه أيسر في النطق في صدر الكلمة العين ، والقول نفسه في الكلمة الأخرى ، فالجيم حرف شجري ، والعين حرف حلقي فتتابع الهمزة العين مستثقل عندهم ، ولذلك فصلوا بينهما بالحرف الشجري"<sup>(3)</sup>.

وأيد هذا الرأي برجشتراسر الذي يرى مبدأ السّهولة والتيسير من أسباب القلب المكاني، يقول: "نتجنّب صُعوبة اللّفظ الناشئة من تجاوز بعض الأصوات" ، فقد ذهب براجشتراسر إلى أن (اتفعل) يقول مفسّراً: "الافتعال تاؤه في العربيّة دائماً تالية لفاء الفعل ، وكانت في الأصل سابقة لها ، كما هي في الأرامية ، نحو: (etkri) أي اقتراً ، يعني قُرئ ، لكثّها

(1) برجشتراسر: التطور النحوي، ص35.

(2) عبد التّواب، رمضان: التطور اللغوي، ص57.

(3) الحموز، عبد الفتاح: ظاهرة القلب المكاني، ص40.

كانت تُؤخر بعد فاء الفعل إذا كانت هي واحدا من حروف الصفير نحو ('estma'): أي استمع ،  
يعني سمع ، وعلى هذا القياس أحرّرت العرب التاء في سائر الأفعال أيضا<sup>(1)</sup>.  
القلب المكاني في الميزان الصّرفي:

قام القلب المكاني على تبادل موضعي بين حروف الكلمة ، وذلك بتقديم بعض  
الحروف على بعض ، مما يستدعي التّغيير في أحرف الميزان تبعاً لتغيّر الموزون ، فإذا كان المقرّر  
أن الميزان الصّرفي هو (الفعل) ، فإنّه عند تقديم اللام على العين يصير (فعل) أو (عقل) بتقديم  
العين على الفاء ، أو (علف) بتأخير الفاء على العين واللام ، أو تقديم اللام على العين والفاء ،  
فيصبح الوزن (لفع) ، أو تأخير الفاء على العين واللام (لعف) ، وهذه الصورة الخامسة  
المُحتملة أوردها الرّضي (ت684هـ) في شرح الشّافية<sup>(2)</sup>.

#### أدلة القلب المكاني:

يكون القلب المكاني في الكلمة بالتّبازل الموقعي لحروف الكلمة؛ وذلك بجعل حرف  
مكان حرف بالتّقديم والتّأخير ، وقد تنبّه القدماء لظاهرة القلب المكاني كالخليل  
(ت174هـ)<sup>(3)</sup> وسيبويه (ت180هـ)<sup>(4)</sup> ، وقد أفرد ابن جني لهباباً بعنوان (باب الأصلين يتقاربان  
في التّركيب والتّقديم والتّأخير)<sup>(5)</sup>.

استنبط ابن جني (ت392هـ) أدلةً للحكم بالقلب أو عدمه ومعرفة الأصل من الفرع  
، ومن هذه الأدلة:

#### أولاً: السّعة في التّصريف

ذكر ابن جني أن القياس في كل لفظين فهما تقديم وتأخير: أن يكون كل منهما أصلاً  
إن أمكن ، يقول في الخصائص: "اعلم أن كل لفظين وجد فهما تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا  
أصلين ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه ، فهو القياس الذي لا يجوز غيره"<sup>(6)</sup>.

(1) برجشتراسر: التطور النحوي، ص92.

(2) الاسترأبادي، الرضي: شرح الشافية، 1/21-22.

(3) سيبويه، أبو بشر: الكتاب، 4/377.

(4) سيبويه، أبو بشر: الكتاب، 3/467.

(5) ابن جني، أبو الفتح: الخصائص، 2/69.

(6) السابق نفسه، 2/69.

أي إذا كان اللَّفْظَانِ متساويين في التَّصْرِيفِ ، حُكِمَ عليهما بعدم القلب ، وَعُدَّ كُلُّ واحد منهما أصلاً ، وبهذا الدَّلِيلِ حُكِمَ ابن جني بعدم القلب بين جذب وجذب، يقول: " فمما تركيباه أصلان لا قلب فيهما، قولهم: جذب وجذب، ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه ، وذلك أنهما جميعاً يتصَرَّفَانِ تصرُّفاً واحداً ، نحو: جذب يجذب جذباً ، فهو (جاذب) والمفعول (مجنوب) ، وجذب يجذب جذباً ، فهو (جاذب) والمفعول (مجنوب)"<sup>(1)</sup>.

وعندما يكون أحد اللَّفْظَيْنِ أوسع تصرُّفاً من الآخر ، فإنه – بقلب أحدهما عن الآخر – يكون الأكثر تصرُّفاً أصلاً لصاحبه ، والآخر فرعاً ، يقول ابن جني: "فإن قُصِرَ أحدهما عن الآخر تصرُّف صاحبه ، ولم يساوه فيه ، كان أوسعهما تصرُّفاً أصلاً لصاحبه ، وذلك كقولهم: أنى الشيء يأنى وأن يئى ، فأن مقلوب عن أنى ، والدليل على ذلك وجود مصدر: أنى يأنى وهو الإنى ، ولا نجد الآن مصدرًا"<sup>(2)</sup> ، وكذلك فإن (اضْمَحَلَّ) ، هي الأصل، و(امْضَحَلَّ) هي المقلوب؛ لأن المصدر هي: (الاضْمِحَال) ولا نقول: (امْضِحَال)<sup>(3)</sup> ، وكذلك قولهم: (اَكْفَهَرَّ) و(اَكْرَهَفَّ) ، الثاني مقلوب من الأول؛ لأن التَّصْرِيفَ على (اَكْفَهَرَّ) وقع ومصدره (الاكْفَهَرار) ولم يمر بنا (الكرهفاف)<sup>(4)</sup> ، وكذلك نحو: "شوائع) فإنه أكثر تصرُّفاً من (شواعي)؛ لأنَّه يُقال: شاع يشيع فهو شائع ، ولا يقال: شعى يشعى فهو شاع، فلذلك كان (شوائع) الأصل"<sup>(5)</sup>.

#### ثانياً : التصحيح مع موجب الإعلال

لقد عد التصريفون القلب المكاني من إحدى وسائل التصحيح، لأن اللفظة المقلوبة محمولة في هذه المسألة على ما قلبت منه من حيث التصحيح عدمه، على الرغم من موجب الإعلال في المقلوب، ومما عدوه من هذا الباب قولهم: " أيس" في " يئس" ، فلولا القلب لوجب الإعلال، ولقيل: إسْتُ أَسُّ، كهَيْتُ أهَاتُ، فظهوره صحيحاً يدل على أنه إنما صحَّ، لأنه مقلوب

(1) السابق نفسه، 70-69/2.

(2) السابق نفسه، 70/2.

(3) السابق نفسه، 73/2.

(4) ابن جني، أبو الفتح: الخصائص، 73/1.

(5) الإشبيلي، ابن عصفور: الممتع في التصريف، 617/2.

عما تصحَّ عيْنُه، وهو يئسُّ لتكون دليلاً على ذلك المعنى، كما صحت عين "عور" دليلاً على أنه في معنى ملا بد من صحته وهو "اعوَر" <sup>1</sup>

ثالثاً: الرجوع إلى المصدر

عندما نعثر على المصدر لأحد اللَّفْظَيْن ، ولا نجد للأخر مصدرًا ، حكمنا بالقلب بينهما ، وجعلنا الأول أصلاً والآخر فرعًا ، يقول ابن جني: "ومن المقلوب قولهم: امضَحَلَّ وهو مقلوب عن امضَمَحَلَّ ، ألا ترى أنَّ المصدر إنّما هو على امضَمَحَلَّ هو الاضمِحلال ، ولا يقولون: امضِحلال" <sup>(2)</sup> ، وكذلك كما مر سابقاً فإن (اكَرَهَفَّ) مقلوب عن (اكَفَهَرَّ) ، وذلك بدليل المصدر (اكَفَهَرار) ولا نقول: (اكرهفاف).

رابعاً: التَّجْرُدُ وَالزِّيَادَةُ

عندما يكون أحد اللَّفْظَيْن مجرداً من الزِّيَادَةِ ، والآخر مزيداً ، حكمنا على المزيد بأنّه مقلوب عن المُجْرَد ، ومن ذلك رأى سيبويه في (طَمَأَنَ)؛ إذ يراها مقلوبة عن (طَأْمَنَ) <sup>(3)</sup> ، وقد علق عليه ابن جني، فقال: "وَحُجَّةٌ سيبويه فيه أن (طَمَأَنَ) غير ذي زيادة ، واطمأن ذو زيادة، والزيادة إذا لحقت الكلمة لحقها ضرب من الوهن بذلك ، وذلك لأن مخالطتها شيء ليس من أصلها مزاحمة لها وتسوية في التزامه بينها وبينه ، وهو وإن لم تبلغ الزيادة على الأصول فحش الحذف منها ، فإنه - على كل حال - على صدد من التوهين لها" <sup>(4)</sup> ، ويُفسَّر ابن عصفور (ت663هـ) ذلك ، فيقول: "أن يكون أحد النَّظْمَيْن لا يوجد إلا مع حروف زوائد تكون في الكلمة والآخر مُجْرَد من الزَّوَائِد، وذلك لأن دخول الكلمة الزوائد تغيير لها كما أن القلب تغيير والتَّغْيِير يأنس بالتغيير" <sup>(5)</sup>.

خامساً: منع الصَّرْف لغيرعلة

يختص بكلمة (أشياء)؛ إذ وردت ممنوعة من الصَّرْف في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ} <sup>(6)</sup> ، لاحظ التُّحَاة أنها مُنعت من الصَّرْف - أي التنوين - وجعلت الفتحة علامة على الجرِّ عوضاً عن الكسرة ، وقد أُشْكل ذلك عليهم ،

1) الحموز عبد الفتاح: القلب المكاني، ص59

2) السابق فسه، 73/1.

3) انظر: سيبويه، أبو بسر: الكتاب، 467/3.

4) ابن جني، أبو الفتح: الخصائص، 75-74/2.

5) الإشبيلي، ابن عصفور: الممتع في التصريف، 617/2.

6) المائدة: ١٠١

وذلك لأن الكلمة مُنعت من الصَّرف على غير قياس ، فهي ليست مما تنطبق عليه شروط المنع من الصَّرف<sup>(1)</sup> ، فلو كان ترتيب حروفها طبيعياً لكان وزنها (أفعال) وهذا الوزن لا يمنع الكلمة من الصَّرف ، ولهذا عُدَّت مقلوبة؛ فقد جاء في المنصف: "قال أبو عثمان: وقال - يعني الخليل - (أشياء) فعلاء، وكان أصلها: (شيئا) مثل: حمراء ، فُقلبت ، فجعل الهمزة التي هي لام أو لاً ، فقال: (أشياء) كأنها (لفعاء)"<sup>(2)</sup>.

أضاف ابن عصفور في (المُمتع) دليلاً آخر على القلب المكاني ، وهو:

#### سادساً: كثرة الاستعمال

يعدّ ابن عصفور ندرة الاستعمال وكثرته: دليلاً على المقلوب والمقلوب منه ، فكثير الاستعمال يعدّ أصلاً ، أما قليله فمقلوب ، وفي ذلك يقول ابن عصفور: "أن يكون أحد النّظمين أكثر استعمالاً من الآخر ، فيكون الأكثر استعمالاً هو الأصل ، والآخر مقلوباً منه ، نحو: (لعمرى)و: (رعلى) فإن (لعمرى) أكثر استعمالاً ، فلذلك ادّعينا أنّه الأصل"<sup>(3)</sup>.

إلا أن الدّراسة ترى أن المقلوب قد يكون أكثر استعمالاً وانتشاراً على الألسن من الأصل ، ولاسيما أن من أسباب القلب الهروب من الثقل إلى الخفة واقتصاد الجهد ، وهذا ما أشار إليه الرضي في شرح الشّافية، يقول: "وكذا قلّة استعمال إحدى الكلمتين ، وكثرة استعمال الأخرى المناسبة لها لفظاً ومعنى، لا تدل على كون القليلة الاستعمال مقلوبة"<sup>(4)</sup>.

إضافة إلى تلك الأدلة على وجود قلب بعض الكلمات العربيّة ، فقد أضاف

(براجستراسر) من الدّارسين المُحدثين دليلاً آخر على وجود القلب ، وهو:

#### سابعاً: المقارنة باللُّغات السّامية

اعتمد بعض الباحثين المُعاصرين على المقارنة باللُّغات السّامية للكشف عن القلب في عدد من الكلمات العربيّة؛ إذ يقع القلب المكاني في الكلمة العربيّة في حين تُحافظ اللُّغات السّامية الأخرى على أصل الكلمة ، ومن ذلك كلمة (رُكبة) في العربيّة فأصلها (بُرُكَة) بدليل أنها في العبرية (berek) وفي الآرامية وفي الأكادية (burku) وفي الحبشية (berk)<sup>(5)</sup>، فأصل هذه

(1) للمزيد، ينظر بحث: الشمسسان، أبو أوس: أقوال العلماء في صرف أشياء.

(2) ابن جني، أبو الفتح: المنصف، 94/2.

(3) الإشبيلي، ابن عصفور: الممتع في التصريف، 617/2.

(4) الاسترابادي، رضي الدين: شرح شافية ابن الحاجب، 24/1.

(5) انظر: برجشتراسر: التطور النحوي، ص36.

وانظر: عبد التواب، رمضان: التطور اللغوي، ص58.

الكلمة (بُرْكة) ثم قلبت بدليل بقاء الأصل في الفعل (بَرَكْتُ) ، فهذه المقارنة تنبهنا إلى أمر مهم ، وهو شيوع بعض الكلمات وانتشارها بحيث لا يعرف الناطقون إلا إياها ، بينما يندثر الأصل ويُدسى ، بمقارنة العربية بالساميات تستطيع تحديد الأصل والفرع بين الكلمات التي جرى فيها القلب المكاني ، وفي ذلك يقول : "براجشتراسر" وأحياناً نحتاج إلى استعراض الكلمات المُقابلة في المعنى ، في سائر اللُّغات، مثال ذلك: (شَمأل) وهو الأصل ، (شأمل) مقلوب منه<sup>(1)</sup>.

وكذلك "كلمة (مع) فأصلها (عم) ، إلا أنَّ العربية فقدت الأصل ، وعُرف هذا بالمُقارنة باللُّغات السَّامية"<sup>(2)</sup>.

#### تفسير ظاهرة القلب المكاني:

اهتم علماء اللُّغة القديما والمُحدثون بظاهرة القلب المكاني ، وحاولوا تفسيرها وتعليلها ، فجاء في تفسير وتعليل هذه الظاهرة ما يلي:

#### أولاً: اختلاف اللهجات:

نسب البصريون ظاهرة القلب المكاني إلى اختلاف اللهجات؛ إذ إنهم يعدُّون اللَّفظين إذا تساويا تصرفاً من باب اللُّغات من مثل: جذب وجبذ وغيرها<sup>(3)</sup>.

ذهب ابن درستويه إلى أن ما يعده اللُّغويون قلباً ما هو إلا لُّغات تداخلت، يقول: "في البَطِيخ لغة أخرى طَبِيخ بتقديم الطاء ، وليست عندنا على القلب كما يزعم اللُّغويون ، وقد بينا الحُجَّة في ذلك في كتاب (إبطال القلب)<sup>(4)</sup>.

ولعل الذي جعل البصريين يذهبون إلى عدم وجود قلب بين (جذب وجبذ) ، وإنما هما لُغتان<sup>(5)</sup>، هو أن هاتين الكلمتين - وأمثالهما من الكلمات المقلوبة - شاعت في الاستعمال وكثر ترددها فلم يتمكنوا من معرفة الأخرى ، خاصة وأنها أخذت مجراها الطَّبِيعي في اللُّغة ، وتصرَّفت واشتقَّت منها صيغ كثيرة ، فصار كلا الكلمتين أصلاً من جذرين مُختلفين ويغلب استخدام أحدهما على الأخرى حسب الشُّيوع والاستعمال ، ولكل لهجة مُفرداتها الخاصَّة.

(1) برجشتراسر: التطور النحوي، ص36.

(2) عبد التواب، رمضان: التطور اللغوي، ص58.

(3) انظر: السيوطي، جلال الدين: المزهري في علوم اللغة، 481/1.

(4) السابق نفسه، 481/1.

(5) السابق نفسه، 481/1.

أيّد بعضُ المُحدثين ما ذهب إليه أصحاب هذا الرأي ، إذ يرى (صبيحي الصالح) أن القلب المكاني يمكن أن يرد إلى اختلاف اللهجات ، فيقول: "وفي هذا الجو الغامض من تأثر بعض الأصوات ببعض - وهو نتيجة حتمية لنطق قبيلة بدوية لم يتم صقل لغتها - لم تستنكف تميم عن تقديم الحُرُوف وتأخيرها في ألفاظ معيّنة - فهي تقول في القسم: (رَعَمَلِي) عوضاً عن (لَعَمْرِي)، كما تقول: (جبد) بدلا من (جذب)<sup>(1)</sup>.

يوافق هذا الرأي: (عبد الفتاح حموز) إلا أنه يقرّ القلب المكاني في الألفاظ المقلوبة في القبيلة الواحدة من باب تطوُّر المفردات ، فيقول: "ولسنا نُنكر أن يكون بعضها من باب اللّغات ، ولكننا لا نستطيع عد تلك الألفاظ المقلوبة في القبيلة الواحدة كذلك ، ولعلنا نستطيع أن نجاري مضان أصحاب اللّغة وغيرها في الإشارة إلى أن تلك اللّفظة لُغة في الأخرى أو مُتطورة ، أو أن اللّفظين لُغتان"<sup>(2)</sup>.

ثانياً: طلب الخفة وكراهية اجتماع الأمثال:

إن اجتماع همزتين في آخر الكلمة مُستثقل في اللّفظ ، ولتجنُّب ذلك الأثقل ، واستخدمت العربيّة القلب المكاني للتّخلص من اجتماع الهمزتين ، فالفعل (جاء) يُصاغ اسم الفاعل منه على النحو الآتي:

جاء ← (جياً) جاي ← جائي

نلاحظ اجتماع الهمزتين في الصيغة الّهائيّة ، نجم عنه ثقل في النّطق ، لذا استبعدت العرب هذه اللّفظة واستبدلت بها (جائي) ، وقد فسّر سيبويه هذه الظّاهرة على أساس القلب المكاني ، فالكلمة (جاي) لم تُقلب فيها الياء همزة وإنما جرى فيها قلب مكاني فتقدّمت الهمزة فصارت (الجائي)<sup>(3)</sup>، وبذلك نتخلّص من اجتماع الهمزتين طلباً للخفة والتيسير ، وصار هذا مبدأ البصريين في القلب المكاني ، فقد حصروا القلب المكاني في دائرة (اسم الفاعل) من الفعل الأجوف.

وما نلاحظه من قلب مكاني في بعض الألفاظ العربيّة في لغة بعض الأطفال كقولهم: (قعل) في (عقل) ، و(إعجاز) في (إعجاز) ، إذ قدّموا: القاف ، الحرف اللّهوي، على العين

(1)الصالح، صبيحي: دراسات في فقه اللغة، ص103.

(2)انظر: حموز، عبد الفتاح: ظاهرة القلب المكاني، ص73.

(3) انظر: سيبويه، أبو بشر: الكتاب، 377/4.

وانظر: الاسترأبادي، رضي الدين: شرح شافية ابن الحاجب، 25/1.

الحرف الحلقي في الكلمة الأولى ، لأنه أيسر في النطق في صدر الكلمة من العين ، والقول نفسه في الكلمة الأخرى، فالجيم حرف شجري ، والعين ، حرفي الحلق مُستقل عندهم ، ولذلك فَصَّلُوا بينهما بالحرف الشجري<sup>(1)</sup>.

ثالثاً: أن تكون بعض الألفاظ المقلوبة من باب الخطأ والتوهم:

وهي مسألة يخلو منها كتاب الله تعالى وقراءاته تماماً؛ لأنهما منزّهان عن مثل هذا التوهم والخطأ، وتكاد اللغة الفصيحة تخلو منها أيضاً، ولعل مصدر هذا الخطأ أو التوهم بعض العامة والأطفال الذين تتعثر ألسنتهم في بعض الألفاظ، فيميلون إلى التقديم والتأخير في بعض حروفها<sup>2</sup>، ومما يمكن حمله على ما مر قول العامة: " تجوز " في تزوج، و" جواز " في زواج، و"مرسح" في مسرح و" أنارب" في أرانب.<sup>3</sup> ومن لحن العامة كذلك " خطب زجل " في " جزل" و"لطس الكتاب" أي محاه في " طلسه"<sup>4</sup> أشار "برجشراسر" من المُحدثين إلى هذا القلب ، يقول: "ونجد تغييراً آخر أصله قريب من أصل التخاليف ، وهو التّقديم والتّأخير، أي أن حرفاً من حروف الكلمة يُقدّم ويؤخّر مكانه ، وعلته أن ترتيب الحركات في التّطورات أسهل من تغييرها المُوجب للتّخاليف ، ونحن نشاهد ذلك بالآلة الكاتبة، فإننا إذا لم نتيقظ، كتبنا كل الحروف اللازمة ، لكن على ترتيب غير ترتيبها"<sup>(5)</sup>.

رابعاً: نظرية السّلاسل الصّوتية:

تُعد نظرية السّلاسل الصّوتية من أحدث التّفسيرات لظاهرة القلب المكاني ، واعتمد (إبراهيم أنيس) فيها على الإحصائيات اللغوية التي أُجريت بواسطة الحاسوب. وتقوم هذه النظرية على أن الإنسان يختزن في مخه محصولاً لغوياً ضخماً ، مرتّباً وفق سلاسل صوتية ، وفي ذلك يقول إبراهيم أنيس: إن المرء يكتسب في سني حياته محصولاً لغوياً ضخماً يختزنه مُرتّباً ترتيباً خاصاً ، يعين على تدكّره وتداعي بعضه مع بعض ، فكأن الله سبحانه قد أمدّ المُخّ في كل منا بجهاز كمبيوتر عجيب لا يكاد العلم الحديث يعرف عنه شيئاً.

1) حموز، عبد الفتاح: ظاهرة القلب المكاني، ص43.

2) حموز، عبد الفتاح: ظاهرة القلب المكاني، ص74

3) حموز، عبد الفتاح: ظاهرة القلب المكاني، ص74

4) حموز، عبد الفتاح: ظاهرة القلب المكاني، ص74

5) برجشتراسر: التطور النحوي، ص35.

ويكفل لنا الاستعداد الفطري اختزان المحصول اللغوي مرتباً في نظام صوتي خاص ييسر علينا تذكر ما نحتاج منه في كلامنا، ولا شك أن ذلك المحصول اللغوي لدى كلِّ منا يتألف من سلاسل صوتية أغلبها ثلاثي الأضول أو الجذور ، وأن هذه السلاسل تختلف في نسبة شيوعها في الكلام ، فمنها الكثير الشُّيوع، ومنها المتوسط، ومنها النَّادر ، وأن السلاسل الصوتية الأكثر شيوعاً من النَّاحية الإحصائية: هي أكثر السلاسل حضوراً في الأذهان ، وأسرع في الاستجابة حين الحاجة<sup>(1)</sup>.

وفي تفسير حدوث ظاهرة القلب المكاني بناء على هذه النظرية، يقول إبراهيم أنيس: "فإذا سمع السامع أو نطق الناطق بسلسلة من تلك السلاسل الصوتية القليلة الشُّيوع تداعت لها مُسرعة سلسلة أخرى أشبه بها ، أو أقرب إليها ، وهي في نفس الوقت أكثر منها شيوعاً وتردداً في كلام النَّاس ، فكأنما كانت تطفو على سطح الشُّعور ، ولذلك تُبادر قبل غيرها في الاستجابة إلى المتكلم أو السامع ، فحلول سلسلة صوتية محل أخرى – وهذا هو القلب المكاني – سرُّه يُفسر لنا ظاهرة القلب المكاني في مُعظم أمثلة العربية بوجه عام"<sup>(2)</sup>.

تري الدراسة أنَّ رؤية إبراهيم أنيس مُقنعة في تفسير ظاهرة القلب المكاني ، إذ إن الظواهر اللغوية – في أي لغة – ليست وليدة التَّفكير الواعي ، فهي لا تحدث عن تفكير مسبق وواعٍ ، فالقلب المكاني – كظاهرة لغوية – لم ينتج عن إرادة واعية وعمل مقصود ، وإنما كان نتيجة البيئة اللغوية التي تحتفظ بسلاسلها اللغوية – الخاصة بها – التي تعتمد في بناء ألفاظها ومفرداتها ، وبعدها يقوم الأبناء بدورهم باكتساب تلك السلاسل اللغوية وتخزينها في أدمغتهم للعودة لها عند الحاجة.

#### الخاتمة:

تناولت الدراسة ظاهرة القلب المكاني: بين القدماء والمُحدثين، مبيّنة آراء اللغويين في هذه الظاهرة، من حيث: أُسسها ومُسبباتها وأهميتها، وتوصّلت الدراسة إلى أن القلب المكاني ظاهرة بارزة في لغتنا العربية الفصيحة والدَّارجة ، وقد أشار السلف لها ومثّلوا عليها وجاؤوا بالأدلة التي تثبت وجودها ، وحاولوا تفسيرها ، فأرجعوها إلى الخفة وكراهية اجتماع الهمزتين في الطرف ، وإلى الضَّرورة كي يستقيم الوزن ، وإلى اختلاف اللّهجات.

(1) انظر: أنيس، إبراهيم: مسطرة اللغوي، ص 10-11.

(2) السابق نفسه، ص 11.

حظيت ظاهرة القلب المكاني باهتمام المُحدثين من العرب والمُسْتشرقين ، فجعلوا لها حيزاً في مُؤلَّفاتهم ، وحاولوا البحث عن أسبابها من أجل تفسيرها وتعليلها ، فأرجعها بعضهم إلى نظريّة السُّهولة وتجنُّب الصُّعوبة في النُّطق ، وردّها فريق آخر إلى اختلاف اللّهجات نظراً لاختلاف البيئات اللُّغويّة ، ومنهم من عزاها إلى الوهم والخطأ ، وردّها آخرون في الشُّعر إلى الضُّرورة.

ولعل كل هذه الأسباب مُجمّعة أسهمت في نُشوء هذه الظاهرة، وكان آخر تفسيرات القلب المكاني نظريّة السُّلّاسل الصُّوتيّة ، التي اعتمدت على الإحصاءات اللُّغوية عن طريق الحاسوب ، وقد اطمأنت الدراسة لهذه النُّظريّة من حيث تفسيرها لظاهرة القلب المكاني على اعتبارها ظاهرة لُغوية لا تُحدث عن وعي وتفكير مُسبق ، وإنما هي وليدة بيئية لُغوية ذات سلاسل صوتيّة خاصّة بها ، تَرَسَّخت في أدمغة أبناء تلك البيئة ، فيكون حُضورها في أذهانهم أسرع من غيرها؛ لأنها تكون عندهم أكثر شيوعاً من غيرها ، وهذا يجعل الإنسان يُحدث القلب المكاني في بعض الكلمات ، نظراً للموروث الصُّوتي الذي اكتسبه واخترته في دماغه ليعود له حين الحاجة.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

- الاسترأبادي، رضي الدين: شرح شافية ابن الحاجب. تحقيق: محمد نور الحسن محمد الزفزاف، محمد يحيى عبد الحميد. دار الكتب العلمية: بيروت، 1975 م.
- الإشبيلي، ابن عصفور: الممتع في التصريف. تحقيق: فخر الدين قباوة. بيروت: دار المعرفة، 1987 م.
- برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، أخرج: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط3، 1997 م
- بروكلمان، كارل: فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، جامعة الرياض: الرياض، 1977 م.
- البكوش، الطيب: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، القديم: صالح القرمادي، مؤسسه عبد الكريم: تونس، ط3، 1992 م.
- ابن أحمد، أبو محمد عبد الله بن يوسف: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، صيدا - بيروت: المكتبة العصرية.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. عالم الكتب: بيروت، ط2، 1913 .

## القلب المكاني بين القدماء والمُحدثين

- ابن جني، أبو الفتح عثمان: المنصف (شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري). تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين. إدارة إحياء التراث القديم: وزارة المعارف العمومية: القاهرة، ط1، 1954.
  - ابن فارس، أبو الحسين أحمد: الصحاح في فقه اللغة وسنن العربية. مطبعة المؤيد: القاهرة، ط1، 1910م.
  - ابن هشام، أبو محمد عبد الله، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، 1987.
  - حموز، عبد الفتاح: ظاهرة القلب المكاني (عللها وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها)، مؤسسة الرسالة: بيروت، ودار عمان؛ عمان بدعم من جامعة مؤته، 1986م.
  - الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: أدب الكاتب. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. مكتبة السعادة: مصر، ط4، 1963.
  - سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان: كتاب سيبويه. تحقيق: عبد السلام هارون. عالم الكتب: بيروت، ط1، 1900م.
  - السيوطي، جلال الدين: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق: فؤاد علي منصور. دار الكتب العلمية: بيروت: ط1، 1998م.
  - الصالح، صبحي: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين: بيروت، ط6، 1976م.
  - عبد التواب، رمضان: التطور اللغوي (مظاهره وعلله وقوانينه) مكتبة الخانجي- دارالرفاعي: القاهرة- الرياض، ط1، 1981م.
  - عبده، داود: دراسات في علم أصوات العربية، دار جرير: عمان، ط1، 2010م.
- ثانياً: الأبحاث المنشورة:
- أنيس، إبراهيم: مسطرة اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة 1972م، الجزء 29
  - الشمسان، أبو أوس: أقوال العلماء في صرف أشياء مجلة جامعة الملك سعود - الآداب، الرياض، 2001م، المجلد 13.
  - العطية، أحمد مطر: القلب المكاني في الموروث اللغوي. مجلة علوم اللغة، القاهرة، 1999، المجلد 2، عدد 2.
  - هريدي، أحمد المجيد: القلب المكاني (دراسة تاريخية في المفهوم والمصطلح)، مجلة علوم اللغة، المجلد 3، العدد 3، 2000م.